

القراءات والتيسير

الدكتور : خليل بنيان حسون

أستاذ النحو في كلية التربية – جامعة بغداد

اطبق القدامى والمحدثون ممن نظروا في القراءات على انها تتطوي على رخصة تبيح لقارىء ان يقرأه بحسب ما يسهل عليه ، وما اعتاده ونشأ عليه من الخصائص الخاصة بلهجته ؛ اذ لم يكن العرب حين تلقوا القرآن ينحون منحى واحداً في كلامهم ، وانما كانت هناك فروق ظاهرة في الاحكام الاعرابية وفي انماط النطق بالكلام 0 ولقد كان بين اللهجات من الفروق والخصائص ما يميز كلاً منها تمييزاً ظاهراً من سواها ، فكل قبيل من الناس معتاد على ما نشأ عليه من النطق ومن صور الكلام : نحواً " وصوتاً" وسبيلاً" من الاداء 0 ومن هنا فان حمل الناس على ما لم يعتادوه انما هو تحكم يغفل الثقل والعسر اللذين يُحسّ بهما من يُلزم بالانقياد الى ما لم يعتده ، مما يقلل من نشاط القارىء الى قراءة القران وانصرافه اليه 0

هذا هو بعض ما يطرح بين يدي الحديث الشريف" ان هذا القران أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه "(¹) اظهرا" لما يتجه اليه قصد الحديث ، ولما تتصرف اليه مراميه 0 الحديث يروى بروايات متعددة ، وكلها تتفق بالمعنى والقصد ، وليس لاختلاف اللفظ أثر في الخروج عن معناه وعن قصده ، وقد جاء توجيهه منسجماً" مع ما يستشف من ظاهر معناه ، يقوّل الجزري : وكان العرب الذي نزل القران بلغتهم لغاتهم مختلفة ، والسنتهم شتى ، ويعسر على احدهم الانتقال من لغة الى غيرها ، او من حرف الى اخر 00 فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال من السنتهم لكان من التكلف بما لا يستطاع 0

ثم يضيف "اما سبب وروده على سبعة احرف فللتخفيف عن هذه الامة وارادة التيسر بها والتهوين عليها ، وذلك ان الانبياء عليهم السلام كانوا يُبعثون الى قومهم الخاصين بهم ، والنبي (ﷺ) بُعث الى جميع الخلق احمرها واسودها ، عربيتها وعجميتها" 0 (²) وقيل ايضاً" وجد كل قوم من ذوي اللغات المختلفة في الفاظ القران ما وافق لغتهم التي نشأوا

(¹) صحيح البخاري، 584/6 ، سنن النسائي 151/2 ، مسند أحمد بن حنبل، 0 40/1
(²) النشر في القراءات العشر، 0 22/1

عليها ، فكان ذلك اقرب الى الاستئناس به والرغبة في حفظه وقراءته. ⁽¹⁾
ويقول ابن قتيبة : " فكان من تيسير الله تعالى ان امر نبيه (ﷺ) بأن يُقرىء كل امة بلغتهم ،
وما جرت عليه عادتهم فالهذلي يقرأ ((عتي حين)) يريد ((حتى حين)) هكذا يلفظ بها و
يستعملها والاسدي يقرأ : تعلمون وتعلم و ((تسودّ وجوه)) بكسر التاءات 000 والتميمي يهمز
والقرشسي لا يهمز ، ولو اراد كل فريق من هؤلاء ان يزول عن لغته ، وما جرى عليه لسانه طفلاً"
وناشئاً وكهلاً" شقّ ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيه ، 000 فاراد الله برحمته ولطفه ان يجعل لهم
متسعا" في اللغات ، ومنصرفاً" في الحركات لتيسيره عليهم في الدين " ⁽²⁾
وقالوا ايضا " أنزل القرآن اولاً" بلسان قريش ، ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أبيع
للعرب ان يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الالفاظ والاعراب ولم يكلف
احدّ منهم الانتقال عن لغته الى لغة اخرى للمشقة ، ولما كان فيهم من الحمية ، ولطلب تسهيل فهم
المراد ⁽³⁾ 0

وعن علي بن ابي طالب وابن العباس رضي الله عنهما قالا : " نزل القرآن بلغة كل حي من
احياء العرب 00 وان النبي (ﷺ) كان يقرىء الناس بلغة واحدة فاشتد عليهم فنزل جبريل فقال : يا
محمد أقرىء كل قوم بلغتهم " 0

يعلق ابو شامة على هذا القول " هذا هو الحق ، لانه انما أبيع أن يقرأ بغير لسان قريش
توسعة على العرب ، فلا ينبغي ان يوسع على قوم دون قوم ، ولا يكلف احد الا قدر استطاعته فمن
كانت لغته الامالة او تخفيف الهمز او الادغام او ضم ميم الجمع او صلة هاء الكناية ، او نحو ذلك ،
ككيف يُكَلِّفُ غَيْرَهُ" ؟ ⁽⁴⁾

وقد تلقف المتأخرون والمحدثون هذه النصوص ، واستقر لديهم ان القراءات انما هي رخصة
فُصد منها التخفيف عن الذين يجدون في قراءة القرآن عسراً" ومشقة ، فيفزعون اليها يلتمسون منها
سيبلاً" الى الخلاص مما يعانونه من العسر الذي يثقل عليهم والمشقة التي تبهظهم 0 فمن وجد في
القران شيئاً" مما لم يألفه وجد في القراءات مخلصاً" من ذلك ، وملاًذا" يعتصم به 0

ويبدو لنا ان قوله (ﷺ) " فاقروا ما تيسر منه " قد نُحي في فهمه منحىً بعيداً" عن

القصد المراد منه وظل هذا الفهم يبعد بمرور الزمن حتى استقر لدى الناس ان الغرض من

(1) النشر 22/1.

(2) تأويل مشكل القرآن ص 30.

(3) الاتقان في علوم القرآن 047/1

(4) المرشد الوجيز ص 97 0

القراءات انما هو اتخاذها سبيلا لتحاشي ما يثقل على القارىء الذي يُجابه من القران بما لم يعتده في لهجته التي نشأ عليها 0

ولو انعمنا النظر في الروايات والمناسبات التي اقترن بها ذكر الحديث لوجدنا انها تردُّ تفسير التيسير بتسهيل النطق رداً "بيّنّا" فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال :

سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله (ﷺ) فاستمعت لقراءته ، فاذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله (ﷺ) ، فكذت اساوره في الصلاة فتصبّرت حتى سلم ، فلما سلم لبيته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة 000 قال : أقرأنيها رسول الله (ﷺ) فقلت : كذبت فوالله ان رسول الله (ﷺ) لهو أقراني هذه السورة 000 فانطلقت اقوده الى رسول الله (ﷺ) فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة لفرقان على حروف لم تقرئنيها 000 قال : فقال رسول الله (ﷺ) : ارسله يا عمر 0 اقرأ يا هشام ، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها ، فقال رسول : هكذا أنزلت 0 ثم قال رسول الله (ﷺ) اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقراني 000 فقال رسول الله (ﷺ) : هكذا انزلت ، ثم قال رسول الله (ﷺ) : ان هذا القران أنزل على سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه " (1)

ولست تجد اثرا" لاختلاف اللهجة هنا ، فاللذان اختلفا في القراءة واحتكما الى النبي (ﷺ) قرشيان مكيان لهجتها واحدة ، وقد تقيد كل منهما بما انفرد بروايته عن النبي ، ولم يكن بين يدي كل منهما وجوه من القراءة فاختر ما اختار تسهيلا وتخفيفا " ، ولو كان الامر كذلك ما اتبعنا هذا الخلاف بينهما ، كذلك الشأن في الرواية الاخرى المروية عن ابي بن كعب التي يقول فيها ((كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة انكرتها عليه ثم دخل رجل اخر فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه فدخلنا جميعا" على رسول الله (ﷺ) ، قال فقلت يا رسول الله ان هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل هذا فقرأ غير قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله (ﷺ) فقرأاً فحسن رسول الله (ﷺ) شأنهما)) (2) ثم ذكر الحديث 0

وليس في هذا النص ما يستشف منه ان الخلاف بين قراءة أبي وقراءتي الرجلين يرجع الى اثر اللهجات من همز وتليين واطهار وادغام وتفخيم وامالة ، فان ذلك لا يمكن ان يستثير أي انكار ، فلا اثر فيه على الدلالة ، لان فيما هو معروف من لهجة قارئه وطريقته في الكلام ما يحمل على تقبله والتغاضي عنه ، فالاختلاف الذي انكره كل من عمر بن الخطاب وابي بن كعب رضي الله عنهما انما هو مما يدخل في تغيير صورة اللفظ او حركته ، او وضع لفظ مكان لفظ اخر 0

(1) صحيح البخاري 583/6-584 ، سنن النسائي 151(1)2 ، 152 0
(2) تفسير الطبري ، 16/1 0

ومما لا ريب فيه ان القرآن حقيق بأن يتجشم له قارئه كل ما لم يعتد عليه ، وان يروض لسانه على ما لم يألفه منه ، كما هو ملزم بترويض نفسه على الانقياد الى كل ما تضمنه من فروض وتكاليف وكل ذلك مما لم يألفه قبل اسلامه ، فانما هو القرآن العظيم كتاب الله ، فأبي مسلم هذ الذي يصدّه عن قراءة القرآن وجود حروفٍ او حركات او الفاظ لم يألفها ؟ وليس في كل ذلك ما يشق او يعسر 0
واذا قيل ان العادة غالبية ، ولا يحكم على المرء بأن يتكلف خلاف ما اعتاده ونشأ عليه ، اذ كان ثمة مخرج او مندوحة لا حرج فيها ولا تأثيم ، يجاب عن ذلك بأن المؤمن مطالب بأن يؤدي ما لم يعتده مما يُلقى عليه من امور الدين ، ويقاس صلاحه وايمانه بمقدار استجابته لذلك ، فهو يصلّي ويصوم ، ويسعى الى المسجد والى بيت الله ، ويجاهد ، ويبدل المال صدقة او زكاة ، ويكف النفس عما تأمره به من السوء وعما تهفو اليه من نوازع الهوى ، وكل ذلك اثقل من القراءة بحركة اخرى او بلفظ اخر ، او بابدال حرف الى صورة اخرى 0

ويجدر بنا في هذا السياق ان نستعيد قول ابن قتيبة " فكان من تيسير الله تعالى ان امر نبيه (ﷺ) بأن يقريء كل امة بلغتهم وما جرت عليه عادتهم ، فالهذلي يقرأ ((عتي حين)) يريد ((حتى حين)) هكذا يلفظ بها ويستعملها والاسدي يقرأ : تعلمون وتعلم و ((تسودّ وجوه)) بكسر التاءات 000 والتيمي يهمز والقرشي لا يهمز ، ولو اراد كل فريق من هؤلاء ان يزول عن لغته ، وما جرى عليه لسانه طفلاً" وناشناً" وكهلاً" لشقّ ذلك عليه وعظمت المحنة فيه " (1)

فعلى قول ابن قتيبة ان فتح تاء تعلمون وتعلم وتسود وجوه على الصورة التي في القرآن انما هو من المحن العظام على الاسدي ، وكذلك (حتى حين) للهذلي الذي اعتاد ان يلفظ (حتى) بالعين ، مع انه يلفظ (حين) التي بجوارها بالحاء ، ثم ان هذا الذي يتكلفه كل منهما ولا يحتمله ولا يقوى عليه من الحركات والحروف ليس في امر عادي ، او نص عابر ، انما هو في القرآن الكريم !
ان المؤمن يحفظ اجزاء من القرآن يتعبد بها ، ولا يثقل عليه كل ما يحفظ ، وانما يثقل عليه وضع حرف مكان حرف ، او حركة بدل حركة من بعض ما يحفظه ، واذا تجشّم مثل ذلك من القرآن فانه يكون عليه من المحن العظام ، او مما يستثير في نفسه الحمية !!

وينقل ابو شامة المقدسي عن ابي بكر بن الانباري قوله في هذا السياق " 00 ولو اخذوا بأن يقرؤوه على حرف واحد لشق عليهم ، ولكان داعية الى الزهادة فيه ، وسبباً للنفور عنه (2)

(1) تأويل مشكل القرآن ص 30 0
(2) المرشد الوجيز ص 99.

وفضلاً عن ذلك فإننا لا نجد القراءات تُقسَّم أو تُصنَّف بحسب القبائل ، فلسنا نجد قراءات بلغة تميم وقراءات بلغة هذيل أو بلغة سُليم ، وغيرها وإنما هي تجري بحسب القراء (0) ولم تؤخذ من قبائل ، فهي متصلة السند بالنبي (ﷺ) ، وسلسلة السند التي اوصلت القراءات الى سبعة القراء والى غيرهم لم تكن على اساس قبلي ، فانما هم رواة متعددون من قبائل مختلفة يأخذ اللاحق منهم عن سابقه ، بصرف النظر عن قبيلته او جنسه او لونه وآية ذلك ان زر بن حبيش الاسدي والكسائي والاعمش (الاسدي بالولاء) تنتهي قراءاتهم الى عبد الله بن مسعود ، وهو هذلي (1) وان عاصم بن ابي النجود الاسدي اخذ القراءة عن عبد الرحمن السلمي وابي عمرو الشيباني (2) فعلى أي وجه تصل القراءة الى القاريء المتأخر بعد السلسلة الطويلة من مختلف القراء اذا لم يكن الاساس هو التقيد الدقيق بالرواية ، وليس التصرف بها بحسب ما يناسب كل قاريء من لغته او لهجته ؟

وإذا كان الغالب في اختلاف القراءات يرجع الى الاختلاف في الحركة : ضمة او فتحة او كسرة او تنوينا ، قد نحي بكل منها الى ما يخالف القراءة التي عليها المصحف الامام ، وهذه الحركات موجودة في كل اللغات ، فكيف يعسر بعضها حينما يأتي على وجه اخر من وجوه القراءة ؟ لقد كان من الممكن ان يكون في هذه الحركات ثقل حين يكون الشأن فيها على هذا النحو : لغة تنصب فقط ، ولغة اخرى ترفع فقط ، ولغة ثالثة تكسر فقط ، ولغة لا تعرف التنوين ، ولو كان الامر على هذه الحال كان من الممكن ان تقبل ان الذين ينصبون يصعب عليهم الرفع لانهم لم يعتادوه ، والذين يكسرون يعسر عليهم النصب لانهم لا يعرفونه ، والذين لا ينونون يتعذر عليهم ذلك لانهم لم يألفوه ، فكيف ؟ وهم جميعا يرفعون وينصبون ويجرون وينونون في كل ما يتكلمون به ؟

وفضلاً عن هذا فان تفسير ((فاقروا ما تيسر منه)) على انه رخصة يقصد بها التخفيف على الناس والتسهيل عليهم يتناقض مع الحدود المعروفة للقراءات ، فالقراءات السبع معروفة محدودة ، ويضاف اليها ثلاث قراءات لتكون عشرة ، ويلحق بها ما يجعلها اربع عشرة ، او ما يزيد ، فكيف يكون القصد من التيسير الذي يشير اليه الحديث الشريف تسهيل النطق بما يقرأ ، ثم يحدد بحدود ، واذا كان الامر كذلك لزم بمقتضاه ان يكون هذا التسهيل مطلقاً غير مقيد ، لان صيغة الامر في الحديث " فاقروا ما تيسر منته " مطلقة غير مقيدة ، ولا ريب ان العسر والمشقة مستمران ، بل انهما يزيدان بمرور الزمن والقراءات كما هو معروف مقيدة بعدد من الحدود ، فهي مقيدة بحدود ما تثبت روايته

(1) غاية النهاية 2 / 294 0

(2) السبعة في القراءات ص 70 وغاية النهاية 2 / 347 0

عن النبي (ﷺ)، ومقيدة بالجنس، فان فيها من الوجوه ما لم يحمل على مراعاة غير العرب، وان هؤلاء ليجدون من العسر في القراءات ما لا يجده العرب الذين ظهرت القراءات بينهم، فاذا كان الهذلي يعسر عليه ان يلفظ (حتى) بالحاء، والاسدي يثقل عليه فتحُُُُّّّ حروف المضارعة فان غير العربي يعسر عليه كل لفظة فيها الحاء او الخاء او الضاد او العين او الغين او القاف مما يفنقه منها في لغته فضلا عن الاعراب، ولم نجد في القراءات ما يتناول هذه الاحرف مراعاة لمن لا يجدونها في لغاتهم، واية ذلك اننا لا نجد من القراءات ما هو منسوب الى بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي فاين ((احمرها اسودها وعربيتها وعجميتها)) من القراءات؟ وهم من اشار اليهم ابن الجزري في توجيهه لسبب ورود القراءات على سبعة احرف 0

افيكون التيسير مقتصرًا على الاسدي الذي يكون من المحن العظام عليه فتح تاء تعلمون وتعلم فهو يكسرها، ولا يشمل اولئك؟ ام ان اولئك كانوا يتجشمون للقران ما يتجشمون من تكاليف الدين الاخرى وان نـص الحديث المطلق مقصود به التخفيف على العرب الذين نزل القران بلغتهم دون غيرهم حتى لا يجدوا عسرا في بعض ما يقرؤون منه، مما هو مستتب وفاض في لغتهم 0

زد على ذلك انه مما يشترط لصحة القراءة صحة سندها الى النبي (ﷺ)، وكونها كذلك لا تنسجم مع تفسير التيسير بالتسهيل، فلو كان المقصود هذا لكانت مأخوذة عن نحا بها الما يوافقه ويلانمه، ويقول ابن حجر: " ان الاباحة المذكورة لم تقع بالتشهي، ان كل احد يغير الكلمة بمرادفها في لغته، بل المراعي في ذلك السماع من النبي (ﷺ) " (1) 0

ويقول ابو بكر بن مجاهد " ولم ار احدا ممن ادركت من القراء واهل العلم باللغة وائمة العرب يرخصون لاحد ان يقرأ بحرف لم يقرأ به احد من الائمة الماضين، وان كان جائزا" في العربية، بل رايتهم يتشددون في ذلك وينهون عنه " (2)

فاين الاختيار اذن؟ واين توخي التيسير المراد به التسهيل والتخفيف بحسب توجيهاتهم للحديث الشريف؟ فقارىء القران ملزم بأن يقرأ القران على الصورة التي يراها بين يديه 0 كان ذلك مذ وجدت القراءات حتى عهد ابن مجاهد، اما القراءات فانها تؤخذ من روايتها وعن العلماء بها 0 واذا وجد قارىء من الناس ان قراءة القران على صورته المعروفة تعسر عليه فيلزمه حينئذ ان ينظر في كتب القراءات السبع والعشر والثلاث عشرة والاربع عشرة وما عداها ليصيب منها ما يخفف ويسهل

(1) غاية النهاية 9 / 22 0
(2) التبيان لبعض الباحث المتعلقة بالقران ص 89 عن ((جامع القراءات لابن مجاهد)) .

عليه او ليس الايسر من هذا كله قراءة القران على صورته التي هو عليها ما دام الخلاف بين القراءة ليس فيه العسير الذي لا يطاق والثقل الذي لا يحتمل 0

ولو كان القصد من القراءات التيسير بمعنى تسهيل النطق لكانت قراءة كل قارىء على نسق واحد على الصورة التي يراها اسهل وايسر لكن الامر ليس كذلك ، اذ نرى من القراء من يقرأ اللفظ الواحد او الصيغة الواحدة على صور مختلفة في الموضع الواحد او عند تكررها في الايات ، فقد أثر عن الحسن البصري انه قرأ (كهيعص) بستة اوجه ⁽¹⁾ ، وقرأ (الحبك) بخمسة اوجه ⁽²⁾ ، ولا يمكن القول ان ابا سعيد يتداول هذه الوجوه فرارا من الوجه الاعسر الى ما هو ايسر منه 0 بل اننا نجد ان القراءات تتعدد وتختلف في عدد من المواضيع على نحو ينأى نأياً شديداً عن قصد التيسير، فقد بلغ مجموع القراءات في(عبد الطاغوت) من قوله تعالى(وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) ⁽³⁾ اربعة وثلاثين وجها ، وبلغ مجموع وجوه القراءات في (بئس) من قوله تعالى ((واخذنا الذين ظلموا بعباد بئس)) ⁽⁴⁾ سبعة وعشرين وجها ، وبلغ مجموع وجوه القراءات في (صلوات) من قوله تعالى (لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع واصلوات) ⁽⁵⁾ سبعة عشر وجها 0 ⁽⁶⁾

ولا ريب ان (عبد الطاغوت) و (صلوات) ليس فيها ما يدخل في نطاق العسر في النطق ، هذا اذا تقبلنا ان الخلاف في (بئس) مرده وجود الهمزة ، وان كان كثير من الخلاف فيها جاء مع اثبات الهمزة 0

ولو تتبعنا الظواهر اللغوية من همز وتسهيل وتخفيف ، وادغام واطهار وفتح وامالة ، وقابلتها بالقراء وما يمثلون من لهجات بيئاتهم لتكشف لك ان القراء كانوا احرص على التقيد بالرواية من التصرف بالقراءة تروحا لما يباح لهم من التسهيل والتيسير بحسب لهجاتهم 0

فجدد مثلا ان ابا عمرو بن العلاء كان يهمز في مواضع ولا يهمز في مواضع اخرى ، وهو من بيئة هامة ، فهو تميمي ، وان ابن كثير كان اكثر ميلا الى الهمز حتى قيل ((ابن كثير اكثر

(1) البحر المحيط ، 6 / 172 والمحتسب 2/96 اعراب القران للنحاس 2/299 0

(2) المحتسب 2/286 0

(3) المائدة 60 0

(4) الاعرف 156 0

(5) الحج / 40 0

(6) المحتسب 1 / 214 و 246 ، و اعراب القران للنحاس 1 / 507 ، 646 والحجة لابن خالويه ، ص 166 ، وشواذ ابن خالويه ص 33 وص

47 ، 60 واملاء ما من به الرحمن 1 / 220 ، و 287 ، 2 / 145 0

الهامزين))⁽¹⁾ و هو من بيئة لا تهمز فهو قارئ مكة، و أنّ عاصماً الكوفيّ كان يميل الى الاظهار و هو من بيئة معروفة بالادغام.

مثل هذه المخالفة لطواهر البيئة تجدها عند قراء اخرين ، التزاما بالرواية التي اوصلت اليهم القراءة خلال مسارها ، من مصدرها الاول حتى منتهاها اليهم 0

وانه لما يمكن ان يحمل التيسير في رخصة الحديث على ان المقصود به التسهيل في النطق لو كانت القراءات مبنية على احكام عامة مطلقة ، كان يُنص فيها على ان كل همز يمكن تخفيفه، وكل ادغام يباح فكه او اظهاره وان كل ما يتقل يجوز ان ينحى به الى ما هو اخف واسهل 0 لكن الامر في القراءات لا يجري على هذا النحو بل اننا نجد من القراءات ما هو اصعب من كل ما عداه ، اذ ان منها ما يأتي جامعا للساكنين في حرفيين صحيحين من لفظة واحدة 0

فقد قرأ حمزة بن حبيب (فما اسطأعوا) بتشديد الطاء فجمع بين ساكنين⁽²⁾ صحيحين وقال ابو جعفر النحاس في سياق عرضه للقراءات في (نعمًا) من قوله تعالى (ان تبدوا الصدقات فنعمًا هي)⁽³⁾ (فاما الذي حكى عن ابي عمرو ونافع واسكان العين فمحال) ، واردف ذلك بقول المبرد " وهذا لا يجوز ولا يقدر احد ان ينطق به⁽⁴⁾ 0

وقرأ نافع (أمَّن لا يَهْدِي)⁽⁵⁾ بأسكان الهاء وتشديد الدال ، وعقب عليها ابو جعفر

النحاس مرددا قول المبرد " وهذا لا يجوز ولا يقدر احد ان ينطق به " ⁽⁶⁾ 0

وقرأ نافع (لا تُعَدُّوا في السبت) بأسكان العين وتشديد الدال⁽⁷⁾ وقرأ ايضا (وهم

يُخْصِرُونَ) بأسكان الخاء وتشديد الضاد

⁽⁸⁾ وهذه كلها قراءات سبعية متواترة 0

وقرىء (يخطّف ابصارهم) بأسكان الخاء وتشديد الطاء⁽⁹⁾ فاين موضع هذا كله من التيسير

الذي هو تسهيل النطق !!؟ 0

والغريب في الامر ان الشعور بالثقل المتمثل بالاحساس بصعوبة قراءة حرف او حركة لا

يكون الا في القران وحده ، لم نجد مثل هذا الاحساس يذكر عند قراءة أي نص اخر من النصوص

(1) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص 89 0

(2) الكهف / 97 ، السبعة في القراءات 401 0

(3) البقرة / 271 0

(4) اعراب القران ، 1 / 291 0

(5) يونس 35 0

(6) اعراب القران ، 2 / 59 0

(7) النساء / 154 ، السبعة 241 0

(8) يس / 49 السبعة 541 0

(9) البقرة / 20 ، املاء ما من به الرحمن 1 / 23 0

المروية عن العرب ، وكل منهما يمثل البيئة او اللغة التي ظهر فيها 0 ولعل ابرز مثل على ذلك المعلقات السبع او العشر ، فكل العرب يقرؤونها على نحو واحد ، دون ان يُسجّل أي تصرف في قراءتها يوافق لهجة القارىء لها 0 وشعراؤها كما هو معروف من قبائل مختلفة ، ولقد كان العرب يقرؤونها على صورتها المروية ، ولم ترد لها روايات بحسب لهجات الذين يروونها ، وهي قصائد ، ليس لها من القدسية ما للقران الكريم وليس بينها وبين قارئها من الوشيجة كتلك التي تربط قارىء القران بما يقرأ 0

ولقائل ان يقول ان قراءة المعلقات لا تقاس في هذا الشأن على قراءة القران لان المؤمن ملزم بقراءته دائما ، وان مخالفة القراءة دون الاباحة تنطوي على حرج كبير لقارئه ، ومن اجل هذا ابيح له ان يقرأه على نحو يبسر له ما يثقل عليه ، ويرفع عنه الحرج 0 وليس في هذا الاعتراض الا ما يؤيد ما ذهبنا اليه 0 فعلى الرغم من ان المعلقات ليس في قراءتها من الزام التقيد بالنص على الصورة التي نراها في القران فاننا لم نجد لها روايات متعددة بحسب لهجات القارئ لها كما قلنا ، وليس ثمة ما يحول دون ذلك مع مراعاة البناء الشعري لكن ما رايناه يخالف ذلك اذ اتفقت رواياتها على الصورة التي اثبتتها دواوين شعرائها ودواوين الادب 0 وان كان ثم خلاف في روايتها فانه يسير قليل بالقياس الى مقدار الخلاف في قراءات القران ، ولم يحمل مثل ذلك على انه مقصود به مراعاة لهجة القارىء او للتخفيف عليه 0

فان قيل ان المعلقات وغيرها من النصوص جاءت ممثلة لما هو عام شائع في لغة العرب ، فلم يعسر منها شيء 0 ولا قيمة لمثل هذا الاعتراض فان القران اقدر على ان يكون ممثلا لكل لغات العرب ، وهو اجدر بان يتجشم له القارئون كل ما يُعنيهم ويثقل عليهم ، ان كان فيه مثل ذلك 0 فضلا عن هذا فان المعلقات كلها لم تخل من (حتى) التي تعسر على الهذليين ، كما لم تخل من حروف المضارعة المفتوحة التي لا يقدر عليها بنو اسد بحسب التفسير الذي وضع بين يدي الحديث الشريف 0 وهم يقحمون قول النبي (ﷺ) اني بعثت الى امة اميين فيهم الغلام والخادم والشيخ العاسي والعجوز (1) يقحمونه في سياق تأويلهم للتيسير الوارد في الحديث بتسهيل النطق ، يريدون ان تعدد وجوه القراءة انما قصد به مراعاة هؤلاء الذين يعسر عليهم الالتزام بسبيل واحد منها ، ولا علاقة لهذا الحديث بتيسير القراءة او تسهيلها ، اذ ليس مباحا لاي من هؤلاء بان يجري في القراءة على ما يوافق اميته ، وانما هم ملزمون بان يقرؤوا القران كما نزل ، وان يأخذوا قراءته كما رويت عن النبي

(1) تفسير الطبري 12/1 ، صحيح الترمذي 0 63/11

(ﷺ)، ولسنا نجد في هذا الحديث ما يدفع الى ان تطلق القراءة اطلاقاً يتناسب مع امية الامي وجهل الغلام والخادم ، وعدم تثبت الشيخ العاسي والعجوز ، ونحن نعلم ان في تغيير الحركات ما يحيل المعنى النما لا يمكن تقبله او التغاضي عنه 0

وإذا كان التغيير الصحيح الموافق لاحكام اللغة وسننها لا يقبل في هذا الشأن فكيف يكون للامي والغلام والخادم والشيخ العاسي والعجوز دخل في ذلك ؟ يقول ابو بكر مجاهد : " ولم ار احدا ممن ادركت القراءة واهل العلم باللغة وائمة العربية يُرخصون لاحد في ان يقرأ بحرف لم يقرأه احد من الائمة الماضيين ، وان كان جائزا في العربية ، بل رايتهم يتشددون في ذلك وينهون عنه " (1) 0

فإذا كان من غير المرخص للعالم بأن يقرأ القران بحسب ما يتراءى له من الوجوه التي يبيحها النحو ، وتشتمل عليها احكام اللغة فما دخل الشيخ والعجوز والخادم والغلام في هذا الشأن ؟ وما علاقة هؤلاء كلهم بوجود القراءات مع القران وبوجوهها ؟ ثم اننا لا نجد في القراءات ما جاء موافقا لامية الاميين ، فكلها روايات الراوون عن شيوخهم عن الائمة الماضيين عن النبي (ﷺ) ولم نلمح في ظروف رواياتها ما يتصل بأحد اولئك ، اعني الغلام والخادم والشيخ والعجوز 0 نخلص من هذا كله الى القول ان القراءات شأن الهي ، فقد اراد الله جل وعلا ان يكون مع هذا القران قراءاته ولا مجال فيها للهوى او التشهي او التماس التيسير 0

ولا ريب ان اتحاد الامة على صورة واحدة من القراءة وهي ما يمثله المصحف الامام قد وضع حدا للتشهي والتصرف بالقراءة 0 وقد كان للقرار الحاسم باحراق المصاحف الاخرى المشتملة على وجوه اخرى من القراءات ، كما هو الشأن في مصحف ابي كعب ومصحف عبد الله بن مسعود كان لهذا القرار اليد الجلى في هذا السبيل فتوحدت الانظار والقلوب باتجاه المصحف الواحد ثم غدت القراءات بعد ذلك علما من علوم القران له اعلامه وحدوده المعلومة اما المعتمد في القراءة ، والمفزع عند حصول الخلاف والشك فقد كان المصحف الامام دون سواه ، ولم يُشهر هذا الحديث حين أمر باحراق المصاحف الاخرى وانه لرادع قوي دون ذلك لو كانت هذه الرخصة المطلقة المتمثلة في قوله (ﷺ) " فاقروا ما تيسر منه " تعني التسهيل على القارىء والتخفيف من معاناته وهو يقرأ القران ، فان كل مصحف انما يمثل ما الفه صاحبه وما اعتاده من وجوه القراءة ولم ييسر في أي عصر من العصور لامرىء من الناس ان يجمع قراءات القران كلها بين يديه ليؤلف له منه كلها مصحفا خاصا به

(1) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقران ص 89 عن " جامع القراءات " لابن مجاهد 0

يلتزم قدرته على النطق به وينسجم مع جهازه الصوتي ولو وجد من يفعل ذلك لكان مبتدعا مأخوذا على يديه 0

وعلى هذا فسيظل المسلمون يقرؤون من القرآن ما تيسر لهم ان يقرؤوا منه وقت قراءته ويكون معني " ما تيسر منه " ما امكنكم ان تقرؤوه منه او ما تهيأ لكم ان تقرؤوه منه ، كما يقول القائل لاحد من الناس : اقرأ ما تيسر لك من الكتب ، وكما نقول : قرأ القارىء ما تيسر له من آي القرآن وسوره ، ولا مدخل لمعنى التخفيف والتسهيل في هذا كله 0

ولم يبعد معني " ما تيسر منه " في الحديث الشريف عن معني " ما تيسر من القرآن " في قوله تعالى (علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن) وقوله في الاية نفسها (فاقرءوا ما تيسر منه واقموا الصلاة واتوا الزكاة) (1)

والقراءات مهما تعددت وجوهها واختلفت فانما هي شأن من شؤون القرآن وعلم من علومه وهي معين لا ينضب يستمد منه الناظرون فيها مددا متوصلا على امتداد الزمان في مختلف ضروب العلم في الفقه والاحكام وفي الدراسات النحوية واللغوية وغيرها 0

واما كون القرآن منزلا على سبعة احرف فانما هو امر يدخل في اسرار القرآن وليس المقصود من تحديدها بهذه العدة تسهيل القراءة والتخفيف على القارئ اعتمادا على كل القرائن التي رايناها 0 وآية ذلك اختلاف مذاهب الائمة من العلماء في المقصود بسبعة الاحرف دون التوصل الى حكم قاطع بشأنه ، او تأويل مقنع حتى يومنا هذا 0

وقد قال ابو شامة المقدسي بعد ان استوفي عرض اقوال العلماء المتعددة بشأن " المراد بالاحرف السبعة التي نزل بها القرآن " ؛ " وهذه الطرق المذكورة في بيان وجوه السبعة الاحرف في هذه القراءات المشهورة كلها ضعيف ؛ اذ لا دليل على تعيين ما عينه كل واحد منهم ، ومن الممكن تعيين ما لم يعينوا ، ثم لم يحصل حصر جميع القراءات فيما ذكره من الضوابط ، فما الدليل على جعل ما ذكره مما دخل في ضابطهم من جملة الاحرف السبعة دون ما لم يدخل في ضابطهم " (2)

واذا تأملنا القراءات وبقائها ، وما نكنه لها من التقديس والاعتزاز تكشف لنا الفرق الكبير بينها وبين الرخص الاخرى التي تلجى اليها الضرورة الجاء ، وتنتفي عند زوالها فهي من القرآن ، وهي بذلك شديدة البعد عن صفة الرخصة فلا تنتفي الحاجة اليها ابدا ولا يدفع اليها الاضطرار 0 والحاجة

(1) المزمع 20
(2) المرشد الوجيز 127 0

اليها لا تتأتى من كونها سبيلا الى تسهيل النطق بما يعسر من لفظ القران وانما من كونها تتصل بالقران
الكريم اوثق اتصال واوكده 0

والحمد لله اولاً و اخراً"

الدكتور خليل بنيان الحسون

المصادر والمراجع

- الاتقان في علوم القران ، لجلال الدين السيوطي ، مصر 1951 0
اعراب القران ، لابي جعفر النحاس ، تحقيق د0 زهير زاهد ، بغداد 1980 0
املاء ما من به الرحمن ، لابي البقاء العكبري ، تحقيق : ابراهيم عطوة ، 1969 0
البحر المحيط ، لابي حيان الاندلسي ، مطبعة السعادة ، مصر 0
تأويل مشكل القران لابن قتيبة ، تحقيق : احمد صقر ، القاهرة 0
التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقران ، الطاهر الجزائري ، القاهرة 1934 0
تفسير الطبري ((جامع البيان عن تأويل القران)) لمحمد بن جرير الطبري ، بيروت 1978 0
الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه ، تحقيق : د0 عبد العال سالم مكرم ، بيروت 1979 0
السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ، تحقيق : د0 شوقي ضيف ، مصر 1972 0
سنن النسائي ، لاحمد بن شعيب النسائي ، بيروت 1930 0
شواذ ابن خالويه ، تحقيق برجستراسر 1934 0
صحيح البخاري ، لمحمد بن اسماعيل البخاري ، بيروت 1987 0
صحيح الترمذي ، بشرح الامام ابي بكر بن العربي ، مصر 1934 0
غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري ، نشر برجستراسر 1935 0
القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، د0 عبد الصبور شاهين ، مصر 0
اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، د0 عبده الراجحي ، مصر 1968 0
المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات ، لابن جني ، تحقيق ناصف والنجار وشلبي مصر 1969 .
المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لابي شامة المقدسي ، بيروت 1975 0
مسند احمد بن حنبل ، بيروت 0
النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، تصحيح : محمد علي الضباع ، مصر 0

